

شرح أصول الكافي

[162] (وقال (صلى الله عليه وآله): أوحى الله إلى داود (عليه السلام): لا تجعل بيني وبينك عالما مفتونا بالدنيا) يعني لا تتوسل لمعرفةتي وإحساني بعالم مفتون أضلته الدنيا بزهراتها وأخرجته عن طريق محبتي بشهواتها وحبسته عن مشاهدة جلالتي بلذاتها. (فيصدق عن طريق محبتي) أي يمنعك عن طريق يوصلك إلى محبتك إياي ومحبتي لك ويرغبك إلى الدنيا وزينتها فتصير مفتونا بها مثله. (فإن أولئك) هم المفتونون بالدنيا البعيدون عن الرحمة. (قطاع طريق عبادي المريرين) لمحبي الطالبين لكرامتي القاصدين لسبيل مرضاتي، فإن أولئك يزينون الدنيا عندهم، ويرغبونهم إليها قولا وفعلا، ويمنعونهم من الرجوع إلى عالم إلهي ونحرير رباني، ولو لم يكن أولئك الضالون المضلون السارقون اسم العلم وزي العلماء جالسين في مسند الشرع وداعين للخلق إلى مفترياتهم لجال الناس إلى أن يجدوا هاديا مسددا وعالما مؤيدا. (إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي عن قلوبهم) وكيف تكون قلوبهم قابلة لذوق مناجاته وهي مشغولة بغيره ملوثة بحب الدنيا وزينتها متنجسة بفضلة النفاق والعناد مظلمة بظلمة إضلال العباد ؟ ! والنجوى السر بين اثنين، يقال: نجوته نجوا أي ساررته، وكذلك ناجيته وهو إنما يكون بين المحبين فحلاوة مناجاته تعالى تابعة لمحبهته ولا يوازيها شيء من نعمائه عند الصديقين الذين خلصوا من مقتضيات سجيته ومشتبهات طبيعتهم وأخذت العناية الأزلية والسعادة الأبدية زمام قلوبهم فبذلوا المجهود في السير إلى الله ولزوم أوامره ونواهيه وبالغوا في تصفية بواطنهم وصقال ألواح نفوسهم وإلقاء حجب الغفلة وأستار الحياة البدنية عنهم حتى أشرقت عليهم شمس المعارف الإلهية وسالت في أودية قلوبهم مياه المحبة الربانية، فإنهم يعدون نزع حلاوة المناجاة من ذائقة قلوبهم طرفة عين من أشد العذاب، وإذا كان نزعها أدنى ما يصنع بهؤلاء الظالمين فماذا قدر أعلاه (1) ؟ سبحانك نحن عبادك ولا ناصر لنا غيرك فانصرنا وثبت أقدامنا على صراطك إنك قريب مجيب.

1 - إن الإنسان يفتن بالدنيا فتكون السعادة عنده جمع المال وتحصيل الجاه والتلذذ بالذات الدنيوية، ومن كان هذا غاية غرضه ونهاية مقصوده لا يرى في السير إلى الله والمعارف الحققة سعادة أبدا، بل ليس تعب في العلم إلا للمال والجاه وإن لم يحصل له عد نفسه شقيا محروما ولا يزال محزونا على ما فاتته، فإن كانت له الدنيا شغلته بوجودها وإن لم تكن شغلته بعدمها، ولا فراغ له للمناجاة، بل وإن توجه إلى الله تعالى فليس همه إلا الدعاء لطلب المال والجاه. (ش) (*)

